فقال قال الامام الخطابي رحمه الله تعالى في شرح السنن انما نهى عنه في ذلك الوقت لانه يجلب
النوم ويعرض الطهارة للانتقاض فنهى عن ذلك وامر بالاستيفاز وقد تبعه النووي
رحمه الله تعالى على ذلك فقال لانه يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض الوضوء
فيفسر النهي بذلك وقد تتبعت الكلام عليه فلم اجد للنهي فايدة سوى ذلك وهو اللايق
الموافق فلم يكن صلى الله عليه وسلم بلا ذم مايكره او يقبح او ما هو خلاف الاولى او
الادب وكان ابتعاد من كرهها على الاستحسان العرفي الذي يختلف الامر فيه باختلاف
البلدان والازمان لا معقول فانه ربما استقبح اهل بلد او بلد شيا وهو مستحسن عند غيرهم
وقد يكون مما استحسنه الشارع صلى الله عليه وسلم وتكرر منه كما ورد انه صلى الله عليه
كان يردف خلفه على الحمار رجلا في المدينة من غير سفر ولا مشقة ويركب الفرس عريا
ولو فعل هذا في قطرنا احاد الناس فضلا عن الاعيان لاستنكر منهم والمستقبح حقيقة
وهو ما استقبحه الشارع صلى الله عليه وسلم عن طاوس قال قلنا لابن عباس انا لنراه
جفاء بالرجل يعني الاقعاء في الجلوس بين السجدتين فقال بل هي سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم
وقد فهمت بما تقدم كيف كان الحال ثم انه لا دليل على الكراهة واما الحديث المذكور
في الاحتباء يوم الجمعة فقد سبق تاويل العلماء له وان النهي ليس لنفس الحبوة ولذلك لم يقولوا
لانها جلسة تكبر ونحو بل قالوا لانها جلسة وطية قد تجلب النوم فيفوت استماع
الخطبة التي يحتم استماعها على الحاضرين مع ان الحديث في نفسه ليس مما يقطع بصحته
ويغلب على صحاح الاحاديث وقد جعله الترمذي في حيز الحسان قال بعض من فتح الحبوة
وان كان قد ورد في الاحتباء اثر فانما هو دليل الجواز واذا تاملت ما تقدم من ذلك
هذا الفصل وقولهم كان اكثر جلوسه محتبيا فهمت خلل هذا الكلام وقد كان
صلى الله عليه وسلم يفعل الواجب والمندوب والمباح ولا يفعل المحرم والمكروه
فان فعل شيا مما كره تنزيها فانما يفعله مرة لبيان الجواز وطريقة الانصاف
يقال بجواز استعمال الجلسات الوارده عنه صلى الله عليه وسلم واقرب الجلسات الى
التواضع جلسة الجاثي على ركبتيه فهذا ما كان عندنا من جواز صلى الله عليه وسلم
والوقوف كهيئة المتشهد والله اعلم بالصواب **واما** الاداب المذكورة في مجالس الحديث واكثرها
عن مالك واصحابه فما احسن استعمالها لكن في بعضها افراط في التغليظ وقد كان مجالس رسول الله
صلى الله عليه وسلم معمورة بالوحي والتنزيل اهله يحضرون جبريل وميكائيل ثم ان بها
مجامع الفوايد والمراشد مبنية على اكمل الاداب واتم العوايد ومع ذلك فقد كان
صلى الله عليه وسلم ربما قام من مجلسه لوروده من بناهل للقيام وربما اعترض بعض
الجفاة في مجلسه بكلام ينافي اداب مجالسه فلم يعنفه وربما كان كلام متسق بغير
تمليح كلامه حتى ورد ان فتلة ابن ابي الحقيق اليهودي اتوا اليه وهو في خطبة
الجمعة فاقبل عليهم بقالهم ثم عاد الى خطبته وان الحسن والحسين جاءا وهو يخطب الناس

وعليهما

وعليهما قميصان وهما يعثران ويقومان فنزل صلى الله عليه وسلم ووضعهما اليه ثم قال صدق الله
عز وجل انما الناس صدق تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة لما ملكت نفسي حتى رايت هذين
الولدين يعثران ويقومان حتى فعلت فيهما الذي رايتم وقد كانت اموره صلى الله عليه وسلم
كلها مبنية على القصد الاعتدال لا افراط ولا تفريط وقال خير الامور اوسطها وبعثت بالحنيفية
السمحة وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج والمعول على الاداب القلبية وصلاح النية
وكل شي تجدها معتقد والله ولي التوفيق **فصل في صفة نطق رسول الله صلى الله عليه وسلم** وفصاحته وسكوته قالت عايشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسرد الحديث كسردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس اليه
وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه واذا اتى
قوما سلم عليهم ثلاثا وقال ابو الدرداء رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث بحديث
تبسم في حديثه وفي حديث هند بن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دايم الفكر
ليست له راحة طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم جوامع الكلم
فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين واذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب
قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى بطن ابهامه اليسرى وفيه ايضا كان سكوته صلى الله
عليه وسلم على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين
الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى واما فصاحته صلى الله عليه وسلم فمن تامل احاديثه وسيره وجوامع
كلمه وادعيته وبدايه خطبه ومخاطباته مع وفود العرب على اختلاف لغاتها وجواب كل
منهم على نحو لغته ومنزع بلاغته علم ذلك ضرورة وحقيقته معروفة وكذلك كمل الله له جميع
الحواس الجوارح البدنية كما اتم له المحاسن المعنوية **من ذلك** ما روي انه صلى الله عليه وسلم كان
يرى من خلفه كما يرى من قبله ومن بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين **وروي** انه صلى الله
عليه وسلم كان يستوي في نظره الضوء والظلمة وانه كان يرى من الثريا احد عشر نجما وكان
موسى صلى الله عليه وسلم بعد ما تجلى الله له يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشر فراسخ
وصارع صلى الله عليه وسلم ركانة وكان اشد اهل وقته فصرعه وصارع صلى الله عليه وسلم
ابا ركانة ثلاث مرات كل ذلك يصرعه صلى الله عليه وسلم **فصل** في صفة ضحك النبي صلى الله عليه وسلم
وبكايه وعلامة رضاه وسخطه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضحك وجل ضحكه التبسم وغاية
ان تبدو نواجذه قالت عايشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا
حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم وسبق من حديث ابن ابي هالة انه كان يفتر عن مثل حب
البرد او عن حب الغمام وهو البرد وكان يرى كالنور يخرج من بين ثناياه **واما** بكاوه صلى الله عليه وسلم فهو يبكي
صلى الله عليه وسلم ثبت عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
ولجوفه ازيز كازيز المرجل من البكا **وعن** عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقرا علي فقلت يا رسول الله اقرا عليك وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه

Copyright © King Saud University